الجزء السادس عشر — المجلد الرابع

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء ١٦ رجب الحرام سنة ١٣١٩ — ٢٩ اكتوبر (ت١) سنة ١٩٠١)

الاستقلال والاتكال

« بقلم الكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي الدمشقي »

يطالع المستفيد مئات من كتب الفلسفة والأدب وعلوم العمران فلا يهتم ان يستقل منها ما يأخذ مأخذه من العقول ويحدث أثراً في النفوس ولا عجب فقد تنصرف وجهة الألوف الى خدمة العلم وبث الملكات الصحيحة فاذا فوضل بينهم ووضعت اعمالهم في ميزان النصفة وعلى محك الاستبصار يكثر الشائل ويقلُّ الراجح . والمؤثرون في الافكار في كل الاعصار والامصار اندر من الغراب الاعصم والكبريت الاحمر . على ان كل من يذر بذوراً طيبة لا يفكُّ مثلوجاً فؤاده مهما تأخر نباتها وإيتاؤها لعلمه بأنها ستؤتي أكلها عاجلاً او آجلا اذا لاءمتها طبيعة المنبت واحسنت تعهدها ايدي القائمين عليها

وقد وقع شيء من هذا ان صح حدسي للكتاب الذي ألفه المسيو ادمون دي ولان الفرنساوي وعرّبه احمد فتحي بك زغلول المصري المسمى

« سر تقدم الانكليز السكسونيين » فانه اثر فى الفرنسيس أثراً حسناً ويسرى قول مؤلفه فى بلاد الافرنج منذ نحو خمس سنين فترجم الى لغاتهم وتناولته السن الناقدين والمسلّمين وعاد بعض المنشئين يرون رأي صاحبه وينطقون بلسانه ويكتبون بقلمه ودلّ كثير من اهل العلم على مواقع الفساد من تربيتهم ونقص الاستعداد من عاداتهم واشاروا الى تخلفهم فى حلبة تنازع البقاء عن جيرانهم الالمان والانكليز والاميركان تخلفاً يخشى معه ان يبتلعهم الجنس السكسونى فيكون مستقبل العالم له دون سواه

هكذا يقولون : وغير منكر ان الفرنسيس نفعوا الانسانية نفعاً لا تنكره وكفاهم مفاداتهم بأبنائهم مراراً تخفيفاً من سلطة الملوك ورفعاً لقساوة جهالة ظلت مسدولة على اوروبا قروناً جعلتها وراء شعوب الارض تخلعت ربقة الاستعباد وقررت حقوق الانسان وقواعد الحرية والاخاء والمساواة . ونشرت المعارف فى الاطراف حتى ابتذلت واشترك فى الاخذ من بحرها المحيط عامة الطبقات فأصبح الحراث الفرنساوي يقرأ ويكتب ويفهم اكثر من بعض من ندعوهم بالمنوّرين فى بلادنا . وما يأخذه الآن بعض علماء الفرنسيس على امتهم ان هو الاّ من باب الاستزادة من الفضيلة والدعوة الى الكمال والسبق فى ميدان التغلب والسيادة . نعم انه ليُستنشق من غالب المكتوب رائحة الغرض ويعترض على بعضهم مبالغتهم فى وصف أعراض الضعف حتى اوشكت الفائدة ان تضيع وينسب كل ما يخطونه الى التشيع والتحزّب ويؤيد ذلك ان ما يكتب صادر من بلاد تأصل فيها الانشقاق الداخلي وراجت بضاعة الاحزاب وساد فيها تباين الآراء فلا يكتب الملكي او الكهنوتي الا ويرمي ببصره الى القديم يمجده ،

والتليد يبكيه وينشده ، ولا يجهر الجمهوري الا ويفاخر بما تمّ على يديه من ارتقاء ونماء ، ولا ينبري الفوضوي او العدمي او الاشتراكي الا ويستدعي الامثلة ويستجيش البراهين اعلاناً بدعوته ، واستمامآ لرغبته ، ولكن فرنسا ما زالت بفضل اساسها القديم أمّ المدنية وربيبة الحضارة وان تقهقرت في سياستها واخلاقها فلمرتبتها الميزة على سائر الشعوب الاوربية خلا السكسونيين ولكن صحة الوطنية التي عرف بها مساعير ابطالها ومشاهير رجالها جعلتهم اليوم يفرطون في النصح والقدح

« استقلالهم »

وبعد فان الامم من حيث كيانها قسمان استقلالية واتكالية فالأُمة الاستقلالية هي التي طبعت على حب الانفراد بعتمد كل فردٍ منها على نفسه لا على حكومة ولا جمعية ولا حزب ولا عشيرة ولا أسرة

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعوّل في الدنيا على رجل

ومثالها الشعوب الانكليزية السكسونية . والامم الاتكالية هي التي يعتمد افرادها على مجموعها من الامة او الدولة فيتوكأ كل فرد على غيره واعظم مثال لها الامم الشرقية حاشا سيدتها الامة اليابانية العظيمة فان التربية الاستقلالية عندها على ما يبلغنا قائمة على اعظم هيا كلها وابناؤها ابعد المشارقة عن النشأة الاتكالية

وبديهيٌّ ان العلم وحده لا يكفي في سعادة الشعوب ما لم يقرن بالعمل وفرنسا وقعت مع من وقع في مثل ذلك من امم الخليقة فزاد فيها التكالب على المصالح المعينة والوظائف اللينة فكثر فيها الموظفون والمحامون والاطباء والمهندسون وأهل الصحافة والأدب بحيث تعذّر قبول من

تخرجهم المدارس العالية باسمها فسدت فى وجوه الناشئة ابواب الرزق لان معظمهم يرى السعادة ان يعيش فى باريس ونحوها من المدن الحافلة ليستمتع برفاهها وأنسها ولو عاش فى قلّ . وزهدوا فى الاشتغال بالصنائع الحرة كالفلاحة والصناعة والتجارة وذلك غير معهود عند من كان دمه سكسونياً اذ لا يرى حطة عليه ان يحترف أية حرفة كانت مهما كان علمه واستعداده ليضمن لنفسه وذويه مرتزقاً فسيحاً وعيشاً استقلالياً لُباباً فان لم يجد ما يعمل فى بلاده يغادرها ليستعمر مكاناً آخر من الكرة ويستوي عنده العيش بلندن او برلين والعيش فى زيلندة الجديدة او مستعمرة الرأس او زنجبار وان شئت فقل فى اقاصي صحاري افريقية حيث الوحوش ضارية والسموم لافح والعيش مرّ المذاق

وتأييداً لذلك انقل هنا ما صرّح به احد علماء الاخلاق من الفرنسيس بهذا الشأن قال : « يزعمون ان شهادة العالمية عندنا باب يدخل منه الى كل سبيل وتسلك بحاملها فى كل مسلك وهي على التحقيق لا تفتح الا ثقباً كبيراً هجم عليه اصحاب الرغبات من كل صوب فاستغرقت الحرف الشريفة ووظائف الحكومة جملة بحيث وجب على الامة ان لا تساعد على شرّ ما برح يتفاقم امره منذ سبعة قرون حتى صار جرحاً نغّاراً وضربة مبرّحة . واعني بذلك الشر داء الاستخدام والتوظف

« لا جرم ان الحركة التي بدأت طلائعها فى فرنسا زمن فيليب الجميل ازعج امرها على عهد لويس الرابع عشر فزاد الحال اشكالاً على اثر عودة الملكية الى فرنسا واستيلاء أسرة بوربون على منصة الحكم وصار على عهد الجمهورية الثالثة الحالية أدهى وأمرّ . فاذا نشأ الابناء على آمال

آبائهم ولم يصلح حالهم يضيعون مجد اسلافهم ويخربون مملكة قويت على الحوادث على حين تعدهم عدتها فى شدتها وبيدهم انقاذها واسقاطها

«فالجيل الفرنساوي الحاضر سيئ حاله ومآله وهو الى الكسل والجبن أميل منه الى العمل والنصب حتى يصح ان يقال إنّ البلاد به اضاعت من فتائها ، وامست تسير الى فلاة فنائها ، ومن الاسف ان فرنسا التي كانت على مرّ العصور فى مقدمة من يحسن الاعمال وأول مثيرة لكل نجاح هى اليوم من حيث تهذيب ابنائها متقهقرة عدة قرون الى الوراء . وكأن تعاليمها الآن هي عينها فى القرون المتوسطة التى تركت ألمانيا وشأنها الى أن علا صوت جهوري من الشاعر كيتي [1] يبين للالمان مواقع الضعف ومزالق المقاتل ومداحض المخاطر ويقود الافكار الى الحملة على كسر القيود ونزع رِبَق الرق وتجديد جِدّة الشباب . ينادى يا قوم هؤلاء الانكليز امنوا فى حالهم ، وانسجوا على منوالهم ، فانكم واياهم سواء فى القيم ، فما ضرّكم لو باريتموهم فى الهمم ؟ عملكم قليل ولا تحسنونه وقلما تنهضون باعبائه وليس لكم نصيب مما أُوتوا من ميز الواجب الشخصي والكفاءة الشخصية وهما دعامتا القوى التى تشتدّ بها سواعد الملل . ولما كان كيتي يصيح بهذه الافكار كانت المانيا بعيدة عن معاناة التجارة مقطورة فى مؤخر الشعوب ولم تمض على ذلك مئة سنة حتى استولى أنصار ذلك الشاعر الكبير والمتمطون باقواله على محور التجارة فهاج نشاطهم قلق الامة التى حذوا حذوها . وان الانكليز لينظرون اليوم نظر المرتجف الى انبساط ظل النفوذ الالمانى بهذه السرعة والقوة ويزعمون انه لا بد من ان تخلف

(١) كيتي Goethe اعظم كاتب وشاعر المانى مات سنة ١٨٣٢

طوابع البرد الجرمانية الطوابع الانكليزية قريباً .

« كلُّ هذا نتيجة تغير التربية وانتشار المعارف بين الافراد وكثرة الكفاءات في كل فروع العمل . فمن العقل والحالة هذه ان يتدرع الفرنسيس بسلاح من العمل مفيد ويتعاضوا من الركوب على متن عمياء بالجري في طريق جديد من اتقان المبادىء الصحيحة والاخلاق الفاضلة .

« من رفاعة الفرنسيس أن يعتقدوا علوَّ كعبهم في كل منحى ومنزع . ولو ذهب احدهم الى المانيا ودرس احوالها عن أمم لرأى شعباً كان يشكو مما نشكو منه داءً اصيب به زمناً فشفي نفسه من أوصابه . يرى السكسونية مجسمة بابهى مظاهرها فيقدس « كارلايل »[1] ظهيرها ونصيرها ويقيس حاله بالانكليز على انهم سباق غايات وأصحاب آيات بينات . ثم اذا قضى من تينك المملكتين لبانته ، وعرف بالنسبة اليها حالته ، يركب البحر المحيط الاتلانتيكي ليتبصر فيما تورثه جُدُدُ الفضائل في هذا القرن الحديث وينجلي له الفرق بين رغائبه ورغائب الاميركان .

« لفرنسا نظارة للمعارف العمومية ولاميركا مدرسة للتربية فالاولى تعلم والثانية تربي . الاولى تلقن ابناءها كلمات يحفظونها والثانية تعلم مبادىء يسيرون عليها . تعد فرنسا أدمغة لحفظ قانون وتهيء اميركا أذرُعاً للعمل الاميركان رجال عمل والفرنسيس ليسوا كذلك . يغرس الاميركان في نفوس ناشئتهم شهامة الارادة التي لا تجدي اجمل الهبات الخلقية بدونها ولا يكون العلم نفسهُ الا عطلاً من النفع مع فقدها وهذا هو القانون الذي سنه لهم فيلسوفهم

(١) كارلايل Carlyle كاتب اسكتلندي شهير مات سنة ١٨٨١

امبرسون[1] تلميذ هيكل الالماني[2] القائل في فلسفته : ان الحياة ليست شغلاً عقلياً ولا مناقشة ومهاوشة بل الحياة انما هي العمل . ولقد علق في اعلى باب كل مدرسة بامبركا شعار معناه : ان تهذيب الخلق اسمى غاية للمدرسة وعلى الشبان ان يُحسنوا معرفة الحياة بارادة ثابتة . »

ثم توسع الكاتب في بيان نقص تربية ابناء وطنه وعاد يقول « يلزمنا رجال مهذبون لا رجال متعلمون . وفي فرنسا طبقتان من المدارس اولاهما للصغار وثانيتهما للكبار وبعبارة اجلى مدارس الصناع ومدارس المفكرين . أما حسن التربية الانكليزية السكسونية ورجحانها على التربية الفرنساوية فهي قائمة فيما أوتيه البعض من الصفات الشخصية مثل المروءة وحسن الخلق والحصافة والبداهة والجرأة والاقدام على المشروعات والاكتشاف والافتتاح والمخاطر . فبدلاً من ان تنمي فرنسا في نفوس ابنائها هذه الصفات تغرس فيهم ملكات حب التآلف والاجتماع . تبث فيهم التأثر بدل المروءة . وتبثُّ فيهم الحشية من اقوال الناس فيشاكل المرء الجمهور باقواله وافعاله بدل تنشئتهم على خلق يبقى فيه الانسان مستقلا بنفسه . وبدل الحصافة التي يتأتى بها للمرء ايجاد الاشياء بذاته تقوي فيه ملكة الذاكرة التي تعيد عليه ذكر الاشياء التي يحفظها مما عثر عليها غيره بالتجارب وعوضاً عن البداهة التي يتمكن بها المرء من تطبيق ما اوجده بنفسه تبث فيه الثقة فيصبح عرضة لأغراض حكامه . وبدل الجرأة تبث فيه الحذر وبدل الاقدام على المشروعات والفتوح والاستفاض (فتح البلاد) تبث فيه

(١) امبرسون Emerson فيلسوف اميركي مات سنة ١٨٨٢

(٢) هيكل Hegel فيلسوف الماني شهير مات سنة ١٨٣٠

ملكة الاقتصاد والسلم وحب السكن . وبدلاً من اقتحام المخاطر تحسن له الرضى بالاستخدام »

ثم اجمل الكلام هنا على الفلاحين والصناع والتجار والعملة من مجموع الامة الفرنساوية وانتقل الى الخيار من قومه وعنى بهم العلماء والفلاسفة واهل البصر فقال مستنداً الى اقوال العلماء :

« ان دماغ الجنس السكسوني متمدد ومحدود وذكاءه تحليلي وجنسه جنس العمل والكد وعلى عكسه دماغ الجنس الفرنساوي فانه موسع وذكاؤه تأليفي وهو خيالي يعشق التصورات ، وبالجملة يُعنى الجنس الاول ابداً بالحقائق على حين يفضل الثاني الافكار والخواطر . يجيد السكسوني في الغالب القيام على الاعمال المادية وبعض الفرنسيس يحرزون قصب السبق في ميادين الذكاء المتسعة الاطراف

« ألاَ وان قيمة الجنس السكسوني بمجموعه وقيمة الجنس الفرنساوي بخياره فالافرنسي المتوسط لا يساوي الانكليزيَّ المتوسط والافرنسي العالي يساوي اكثر من انكليزيٍّ عالٍ ولكن الخيار من الفرنسيس لا يشغلون المكانة التي يستحقونها لانهم مغلوبون للاخلاق العالية غير مستوفيي شروط النفع ولا تامي ادوات التهذيب

« وانجح طريقة يجب على فرنسا سلوكها تحسين تربية خيارها وتربية افرادها ومزج الخاصتين السكسونية والافرنسية وتطبيق تربية جمهور الانكليز على تربية خيار الفرنسيس ليأتي الغد ولفرنسا من وراء هذه التربية شعب صغير كالشعب الآتيني يهب لها فاتحين ذوي افهام ، ورجالاً صحاح الاحلام ، يساوون الجيوش ويوازون كل عدد وعدة ويخدمون

أمتهم خدمة ارخيدس[1] ويفتدون وطنهم انقاذ تيمستوكلس[2] . » اه

« اتكالنا »

بمثل هذا اللسان يخاطب الكاتب الفرنساوي امته ويقرعها تقريعاً امرّ من الصاب والعلقم لتستفيق من غشية تخشى مغبتها وتفلت من الوقوع في مخالب اسود السكسون لئلا يكون حظها في الوجود حظ الامم البائدة كالرومان واليونان والفرس والعرب . وما القصد من ايراد كلامه بنصه الا ليحصل التمثيل بيننا وبين امة نشابهها في الاعراض وان كانت اعلى منا جوهراً .

ولعله يخيل لبعض سكان هذه الديار ان الفرنسيس مثلهم في الانحطاط وان لهم بهم قدوة حسنة واعظم سلوى ولكن شتان بين حالنا وحالهم ورجالنا ورجالهم وحضارتنا وحضارتهم . امة تشخص الداء وتفكر في وصف الدواء او تشعر بنقصها وتسعى الى كمالها وامة موقنة بان داءها عين الصحة لا بأس عليها ولا خشية من ناحية حياتها . يرضيها نقصها فلا تريد استبدال غيره به وكل من عضها النصح رمته بانحلال عقدة الوطنية والمروق من عهود الحمية وصدق النابية

لا جرم ان الرجل الفرنساوي الراغب في الاستخدام لا يشبه الرجل المصري أو السوري أو العراقي مثلاً فان الأول يستعد ليحسن الاضطلاع

---

(١) ارخيدس Archimède أحد مشاهير المهندسين القدماء ولد في سيراكوس احدى مدائن صقلية حوالى سنة ٢٨٧ ق . م ومات سنة ٢١٢ وحاصر الرومان وطنه فدافع عنه ثلاث سنين بقوة بنايات حيلية او ميكانيكية

(٢) تيمستوكلس Thémistocle قائد آثيني شهير ٥٣٠ — ٤١٠ ق . م

بما يوسد اليه من امر امته ومعظم هؤلاء على نقص في المدارك وانحطاط في الفضيلة يطمحون الى السعادة والسيادة بلا سابق معرفة سوى اواصر القربى او التقرب او اواخي المؤاخاة والتزلف او وشائج الدرهم والدينار

ولقد اصبح من الرأي المقرر بين الناس ان كل من ليس له علاقة بالحكام كمضو أصيب بالآكلة لا حيلة فيه الا بالبتر او الموت بيد انه لا تثريب على الفقير اذا رشح ابنه لأي خدمة كانت ليرتفع بها من الدنية ما دامت البلاد صفراً من اصناف المعاش الذي يزعج صاحبه عن العيش الاتكالي ويورده موارد الاستقلال بل اللوم كل اللوم على رجل يعد من نواصي اهل وطنه وعليتهم وله من العقار والقرى ما يسد عوزه وعوز مئات معه وهو على ما له من الاعتبار بين جيله وقبيله يُسِفُّ الى الاستخدام في وظيفة ليتباهى بها امام العدو والصديق

اعرف رجلاً في احدى مدن سورية الحافلة له عراقة في مجده واصالة بين قومه وسعة من دنياه وثراه مع هذا يصرف نهاره وليله في نيل الزلفى من الامراء كبتاً لخصومه فيبذل كل عام في هذا السبيل من الصفراء والبيضاء ، ما يكفي لإعالة الف نسمة من اصحاب البأساء ، وكلما طعن في السن يزداد غلواً في مباديه ، واصراراً على نكاية اعاديه ، وهو دائماً اجول من قطرب واشغل من ذات النحيين ومساعيه ابداً مخفقة وآماله مخيبة . وهكذا حال خصمه اللدود له مال وبنون ومقام بين اهل حيه كريم ولكن لا يهدأ له بال الا بالجلوس على اريكة الحكم ومقاعد التصدر يتلمس لبنيه اذناً بملازمة الدواوين مزاحمة لاولاد الفقراء ليستأثروا بعد بالرواتب دونهم وينالوا المعالي بنفوذ والدهم عفواً صفواً

ولو عقلا لاستعاضا عن التلهي بهذه السفاسف بادارة شؤون مزارعهما الواسعة وتحسين طرقها وتنمية غلاتها وثمراتها ولكن هو حب الرئاسة يستلب الالباب وفى الامثال « يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة »

ولطالما سمعنا أن فلاناً غادر سكنه ومسكنه تاركاً دخلاً يكفيه وعياله لأن يعيش عيش الاستقلال فيوكل به من يسرق نصفه لينتظم فى سلك الموظفين ويأخذ من استخدامه مايوازي النصف الذى فقده بغيابه ويغتذي من دماء الأمة سحتاً بحتاً وحراماً محضاً ليقال عنه انه من الموظفين ويخاطب بالفضيلة والسعادة ثم اذا كثر سواد اقرانه يقضى حياته قلق الضمير وربما انفق كل ما يملكه من تراث آبائه ليرتقي الى وظيفة أعلى من وظيفته ويسبق من سبقوه أو هم لاحقوه . وما الموظفون فى الحكومات الاستبدادية براغبين ان يعدوا من ممثليها ليحموا ما يملكونه من اعتداء المعتدى وتسف الظالم كما هي دعواهم بل ليكونوا جلادين فى تلك الدولة ويسوغ لهم اتيان كل منكر ارادوه بلا وازع ولا رادع .

ألا وانّ الامثال لكثيرة على من آثروا العيش الاتكالي ورضوا بالاسفاف الى الدنايا كأصحاب الأوقاف ممن يرضون بالكفاف من العيش ويقنعون بدريهمات تأتيهم من وراء أجدادهم . اضف الى زمرتهم من حبسوا انفسهم فى الصوامع والجوامع مثل المدرس والمؤذن والخطيب ممن يكتفون بالنزر من المشاهرات يقبضونها ببذل ماء المحيا ويصرفون لاجلها من الاوقات ما لو صرفوه فى بيع الثرى لأثروا به ثم يرقبون مايأتيهم من اجور الطلاق والمناكحات ويتلمظون بطعام الولائم والوضائم ويقنعون بتقبيل الأيدي ومصافحة المريدين . وكذلك حال الرهبان والقسيسين

وسائر من يتصرف باسم الدين وهم فائضون عن الحاجة فكلهم يتقربون بالفاقة الى مولاهم ويستوكفون أكف الصدقات ، وينتظرون قيم الصلوات والدعوات ، وهذا الخلق مستحكم من المسلمين بمحكم التربية أكثر منه بغيرهم من الطوائف .

اليك شرح الاتكال المجسم الذي شكا منه كبار الفرنسيس وهو عندنا في ارقى درجاته ولا نشكو ولا نتبرم واما شكواهم من كثرة المرشحين للحرف الأدبية فيقابله شكوانا من قلتهم اذا لم نقل من فقدهم — يوزنا الصحفي العلامة والطابع الماهر والطبيب النطاسي والمحامي الحاذق والاقتصادي المدرب والرياضي المنجد والطبيعي المتعقل والمهندس القطن والسائح الثابت والممثل الفاضل ممن نتبرم بكثرتهم في فرنسا صاحب سر تقدم الانكليز السكسونيين ولكننا نحن في غنية عن هذا العدد الدثر من الحاجب والكاتب والمصاحب والجاسوس والمسجل والرئيس والمرؤس بل وألوف مؤلفة من أصحاب الرواتب بلا عمل الذين يأكلون مال الامة بالباطل ويعيشون على عاتقها حملاً ثقيلاً فلاهم بوجودهم ينفعونها ولا هم عن مغرمها غافلون .

أين حال الاغنياء والاعيان المتهافتين على المناصب في بلادنا من اهل تلك الطبقة في انكلترا مثلاً حيث الحكومة تخطبهم والشعب يطلبهم وشتان بين خاطب ومخطوب

كتب أحد سراة بريطانيا الى صديق له يقول : دع الناس يطلبون الارزاق من الدولة فانا لا انحو منحاهم لاني أقدر ان اكون غنياً بتسام عن الدنايا ولا ارتضي أن اشين خدمتي لوطني بفوائد ذاتية فاني اعمل في

بستاني بيدي واجتزىء بالقليل من النفقة عن الكثير .

وهو كما رأيت كلام من يوقن ان الإمارة ليست بمذهب طبيعي للعاش بل كلام من ارتقى وتهذب وعلم علم اليقين أن الحكومات ليست الا خادمة للامم وان الشعب في غنية عنها ولا غنى لها عنه . فمتى يكون مثل هذا القول لسان حال أعيان بلادنا حتى لا يكونوا على امتهم اضر من العث في الصوف والدودة في الكرمة . ولكن المشارقة انغمسوا في مضال الجهالة منذ قرون حتى اصبحوا يقدسون حكامهم ومن انتسب اليهم وغالوا في تعظيمهم الى أن بلغوا بهم منازل الالوهية ، وانشأوا يستحلون لهم المحارم ويطلقون عليهم القاب الربوبية .

وما برح الناس يبحثون عن داء المجتمع الانساني ويصفون له الأدوية وهو لا يزداد إلا تفشياً وقد أعضل ما يسميه الغربيون بالمسألة الاجتماعية حتى حار في طبها رجال العلم والسياسة وأصبحت شغلاً شاغلاً لاهل المدارك السامية ولذا قال صاحب سر تقدم الانكليز السكسون : ليست المسألة الاجتماعية عبارة عن مساعدة الافراد كما أن مسألة الحياة لا تقوم بكثرة تناول الادوية والعقاقير اذ ليست المساعدة أو العقاقير من وسائل الحياة الطبيعية وليست الحكمة إلا ما ادت الى الاستغناء عن تلك الوسائل الصناعية . وليس من حل للمسألة الاجتماعية الا جعل الافراد بحيث يستطيع كل فرد منهم أن يقوم بامر نفسه وان يرتقي بجده وعمله لان سلامة الاجتماع كالسلامة الاخروية تقوم بكل واحد على حدته وعلى كل واحد ان يسعى اليها . وقولي هذا لا يروق في اعين الذين اتخذوا السياسة حرفة وغيرهم ممن طلبوا رزقهم من انحطاط الامة وضعف مدارك الطبقات

النازلة وكانت منفعتهم فى بقاء الناس دائماً على حالة يشبهون فيها القاصرين حتى يتيسر لهم ان يكونوا عليهم اوصياء . اه

ونحن لو استشهدنا التاريخ لرأينا اجدادنا كانوا فى منازع حياتهم اشبه بالجنس السكسونى لا يعرفون مع بسطة الجاه واتساع الثروة والملك الا النشأة الاستقلالية بعيدين فى كل اطوارهم عن السرف والترف فقد اشتهر من سيرة الصديق الاكبر رضى الله عنه انه كان يغدو كل يوم الى السوق فيبيع ويبتاع وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما رعيت له وكان يحلب للحيّ اغنامهم . فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح[1] دارنا فسمعها فقال بلى لعمري لأحلبنها لكم واني لأرجو أن لا يغير بي ما دخلت فيه فكان يحلب لهم . ثم قال ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر فى شأنهم فترك التجارة وقيل اراده الصحابة على تركها وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم فكان الذى فرضوا له فى كل سنة ستة آلاف درهم وقيل فرضوا له ما يكفيه فلما حضرته الوفاة اوصى أن تباع ارض له ويصرف ثمنها بدلاً مما اخذه من مال المسلمين .

ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء قال للمسلمين انى كنت امرأ تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بامركم هذا فما ترون انه يحل لى فى هذا المال وعليٌّ ساكت فاكثر القوم فقال ما تقول يا عليّ فقال ما اصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فاخذ عمرُ قوته . وان لنا فى غير هذين الامامين من رجال سلفنا الصالح الأسوة الحسنة فى

(١) منحه الناقة جعل له وبرها ولبنها وولدها وهي المنحة والمنيحة

فضيلة الاستقلال وترك الاتكال ولنا الأسوة فى الامم الحية لمهدنا التي نرى آثارها باهتين شاخصين فالعبر بين ايدينا ومن وراثنا وعن أيماننا وشمائلنا ولكننا لا نعتبر

﴿ باب العقائد من الأمالى الدينية ﴾

﴿ الدرس (٣٠) وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾

المسئلة (٢٨) تمهيد للموضوع — تعرف وظائف الرسل بالاجمال من وجه الحاجة اليهم وتعرف بالتفصيل من النظر فى اديانهم والوقوف على شرائعهم وليس بين ايدينا دين الهي وشريعة سماوية ضبطت كتبها واتصل نسبها بمن جاء بها الا دين الاسلام الذي حفظ كتابه فى الصدور والسطور ونقلت سنة نبيه بالعمل اذ لم يقوَ على اهله شعب دين آخر يضطهدهم ويتلاعب بدينهم وضبط القولي منها بالقول ضبطاً لم يعهد له مثيل فى تاريخ البشر فهو الذي يجب ان يتخذه الباحثون فى طبائع الملل وأصول الأديان وتاريخها ميزاناً لمعرفة وظائف الرسل وبيان الحاجة اليهم فيها ويزنوا به سائر ما نسب الى الانبياء والرسل من الكتب المقدسة فما رجح فيه قُبل ، وما خف وشال ترك وأهمل ، وحمل على انه من تحريف المحرفين ، واضافات العابثين ، فان لم يسلكوا هذا المسلك يروا اختلافاً كثيراً وأموراً لا تنطبق على وجه الحاجة الى الرسل وتلك الجناية الكبرى على الدين بل على بني الانسان اجمعين

هذا المسلك هو ماجاء به الاسلام ، وعمل به النبي عليه الصلاة والسلام ، واتبعه به الراشدون ولم يقصر فيه المسلمون الا بعد ضعف الاسلام وفشوّ